الباب الخامس

الحياء في القصة القرآنية
بين الدرس والقدوة

الفصل الأول : استحياء فتاةِ مَدْين

الفصل الثاني : استحياء الحبيب الأعظم ﷺ

الفصل الأول

استحياء فتاةِ مَدْين

في معرضِ الحديثِ عن نبيِّ اللهِ موسىٰ ـ عليه السلام ـ تبرزُ صورةُ امرأةٍ وضيئةِ الأخلاق ، نقية الأثوابِ ، ذكرها ربُّنا عَزَّ وجَلَّ بالحياء ، ووصفَ مشيتها بالاستحياء ، فقال : ﴿ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾ [القصص : ٢٥] .

ـ فمن هذهِ الفتاة ؟! وكيفَ كانَ حياؤها ؟! ولمَ أتتْ موسىٰ عليه السلام ؟! ولكي نجيبَ عنْ هذهِ الأسئلة ، علينا أنْ نعودَ قليلاً إلىٰ زمنٍ قريبٍ منْ حياةِ نبي اللهِ موسىٰ ، كيما تتوضحَ صورةُ حياءِ وحياةِ هذه الفتاةِ التي أثنىٰ عليها ربُّ السّماء .

ـ فقد جاءَ في القرآن الكريمِ أنَّ نبي الله موسىٰ قد خرجَ من مصرَ خائفاً يترقبُ ، وذلك بعد أنْ وكز قبطياً فمات ، وحدثَ أنَّه قد أرادَ ثانيةً نصرةَ الرجلِ الذي من شيعته ، فقال له الرجل : لقد قتلت نفساً بالأمس ، والآن تريدُ أن تقتلني ، ثم إنَّ هذا أخبر النّاس بالقصة ، أو علموا مِنْ خطابهِ لموسىٰ بحقيقةِ أمرِ مقتلِ الرجلِ القبطي بالأمس ، فائتمروا لقتله . ولكنّ عنايةَ اللهِ ورحمته كانت تحفُّ موسىٰ ، فقيّض له رجلاً يخبره بما أجمعَ عليه القومُ ، ونصحه بالخروج من مصر ، فخرجَ وهو خائفٌ يترقب ، وهو ينادي ويناجي الله عَزَّ وجَلَّ : ﴿ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [القصص : ٢١] .

ـ واستجابَ اللهُ مناجاته ، فنجّاهُ منَ القومِ الظالمين ، وخرجَ منْ مصرَ يدعو اللهَ أن يهديه سواءَ السبيل ، فألهمه اللهُ أن يسلكَ طريق مَدْينَ ، وكان بينه وبين مصرَ مسيرة ثمانية أيّام .

ـ ووصل مدين ، وهناك ؛ وعلىٰ مقربة من المدينة ، وجد جماعةً منَ الناس يسقون رعاءَهم وأنعامهم ، فوقف ـ عليه

السلام ـ وهو ينظرُ إليهم ، وقد أرهقَهُ الجوعُ والتّعب ، وأضناهُ المسيرُ والسّفرُ .

ـ وعلىٰ مقربة من البئر[1] ، حانتْ منه التفاتة ، فرأىٰ بجانب الناسِ امرأتين يلفُّهما الحياءُ ، وكانتا تقفان بعيداً عنِ القومِ تحبسان غنمهما عن ورودِ الماء ، وكانَ النّاسُ يسقون ، ولكنّ موسىٰ أحبَّ أن يعرفَ جليةَ الأمر ، ونسي تعبه ومشقّة سفره ، وأثاره ما رأىٰ من حالِ وحياء هاتين الفتاتين ، فسعىٰ نحوهما ، وقال لهما في شيءٍ من الإكرام والتّبجيل والاحترام والحياء : ﴿ مَا خَطْبُكُمَا ﴾ [القصص : ٢٣] ؟! .

ـ لاحظ ـ عزيزي القارىء ـ كلمة واحدة ، بل جملة بسيطة لطيفة ، سأل بها موسىٰ عن حالِ الفتاتين ، سألهما معاً ليكون الحياءُ أكملَ وأجودَ ، ولم يخصّ واحدةً منهما بالسُّؤالِ ، وهذا من تمامِ الأدبِ ، وكمالِ الفضلِ والشرف .

---

(١) البئر : لفظ مؤنث لا مذكر كما يظن بعض الناس .

ـ وبالمنطق نفسه أجابت كلا الفتاتين ، ولم تجبه واحدة ، فقالتا جملةً واحدة ، شرحتا من خلالها له حالتهما وحياتهما ، فقالتا : ﴿ لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾ [القصص : ٢٣] .

ـ وهناك تقدّم موسىٰ ـ عليه السلام ـ تقوده مروءته ، ليساعد هاتين الفتاتين في سقاية أنعامهما ، فهما ضعيفتان عن مزاحمةِ الناس ، وهذا أبوهما شيخٌ كبير قد ضعُف عن السقاية وعن مساعدتهما ، وسقىٰ لهما موسىٰ ، ولكنْ كيفَ سقىٰ ، والبئرُ تُغطىٰ بصخرة عظيمة ؟

ـ قال المفسّرون : كانَ الرّعاءُ إذا سقوا وفرغوا من ذلك ، غطّوا فمَ البئر بصخرةٍ عظيمةٍ لا يرفعها إلا جماعة ، فتجيءُ هاتان المرأتان فتسقيان غنمهما في فضل أغنام النّاس ، فلمّا كان ذلك اليوم ، جاء موسىٰ ـ عليه السلام ـ فرفعَ تلكَ الصّخرة وحده ، أو وكزها برجله ، ثم استقىٰ لهما ، وسقىٰ غنمهما ، وردَّ الحجرَ كما كان .

ـ قال أميرُ المؤمنين عمرُ بنُ الخطاب ـ رضي الله عنه ـ :

وكان لا يرفعه إلا عشرة ، وإنما استقىٰ ذَنُوباً[1] واحداً فكفاهما[2] .

ثُمَّ إنَّ موسىٰ ـ عليه السلام ـ جلسَ في الظل وقال : ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص : ٢٤] . ويبدو أنَّ المرأتين قد سمعتا ما قال موسىٰ ، فانصرفتا إلىٰ أبيهما ، وأخبرتاه بصنيع موسىٰ ، وما كان من أمره ، وأنَّه سقىٰ لهما بسرعة .

ـ وهنالكَ قالَ الشيخ الكبيرُ لإحداهما : اذهبي إلىٰ هذا الرجلِ الشَّهم ذي المروءة والفتوة ، وادعيه لنكافئَه علىٰ صنيعه .

ـ وهنا يبدو الحياءُ ممثّلاً بأجملِ صُوره ، وأجمل ما تتمثل به امرأة في كلّ زمانٍ ومكان ، وكلّ عصر ومصر ، وكلّ وقت

---

(١) ذنوباً : الذنوب : الدلو .

(٢) انظر : قصص الأنبياء (ص ٣١٧) ، والدر المنثور (٦/ ٤٠٥) ، ونهاية الأرب (١٣/ ١٨٤ و ١٨٥) مع الجمع والتصرف .

ومناسبة ، وذهبت الفتاة ممتثلة أمر أبيها كما ذكر ربّنا جل وعلا : ﴿ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ ﴾ [القصص : ٢٥] .

وهذه المشيةُ هي مشية حرائر النساء وشريفاتهن ، جاءت تدعوه لتكافئه وهي رسول أبيها ، ولم تكن كما قال سيدنا عمر ـ رضي الله عنه ـ : ليست بسلفع من النساء خراجة ولاّجة .

ـ نعم لقد كانت مستحيية في مشيتها استحياء النساء العاقلات الفاضلات ، وهي ما أورد أبو السُّعود في تفسيره : بأنها تمشي غير متبخترة ولا متثنية[1] .

ـ وذكرَ عمر بنُ الخطاب ـ رضي الله عنه ـ بأنها كانت ساترة وجهها بثوبها مبالغة في الحياء ، لأنَّ سترَ الوجهِ غير واجب عليها .

ـ لقد جاءته هذه الفتاةُ الحييةُ ابنةُ الشيخِ الصّالح بسرعةٍ فائقةٍ ، بحيث إنَّ موسىٰ لم يزلْ يستظلُّ تحت الشجرة .

---

(١) تفسير أبي السعود (٧/ ٩) .

ـ ووقفتِ الفتاةُ الحييّةُ بقربِ موسىٰ ـ عليه السلام ـ ثم قالت : ﴿إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ [القصص : ٢٥] ؛ نعم ، إنَّها كلمةُ حياءٍ ممزوجة بحياء هذه المرأة ، فالقضيةُ كلُّها حياءٌ في حياءٍ في حياء ، لقد صرّحت لموسىٰ بكلّ حياءٍ واستحياء بأنَّ أباها هو الذي يدعوه ليكافئه ، لئلا يوهم كلامها ريبة ، وهذا من تمامِ حيائها وصيانتها وكمالِ مكارمِ أخلاقها ، وحسنِ منبتها ومدخلها ومخرجها .

ـ لقد كانت هذهِ المرأةُ الحييةُ خيرَ رسولٍ لأبيها في رسالةِ الحياءِ والعفاف ، والطُّهر والنّقاء ، فهي لم تزدْ عمّا قاله لها أبوها حرفاً واحداً ، وإنَّما أدّتْ ما أمرها به في حياء واستحياء ، ووضوح وبساطة من غير ريبة ، ولاشك يساور النّفس .

ـ ومـنَ العجيـب أنَّ هـذه الفتـاة ، كـانـت تمشـي مشيـة الاستحياء ، وهي المشية التي تزينُ كلَّ فتاةٍ وكلَّ امرأةٍ في كلّ زمنٍ وعصر ، وكانتْ مشيتُها مشيةَ الفواضلِ الكريمات اللائي

حيثما يلقين الرجال يكُنَّ علىٰ استحياء كامل ، وعفّة زائدة ، في غيرِ ما تبذل ، أو تبرّج ، أو تثنٍّ وإغراء .

ـ ولما وقفتْ أمامَ موسىٰ ـ وهي الحيية العفيفة ـ كانتْ تتحدثُ باتزان وهدوء وحياء ، لم تضطرب ، ولم تتلعثم بكلماتها ، إذ هي ذات ثقة بطهرها وعفافها ، وتحدثت بالقدر المطلوب الموفي للغرض في أدب الحياء ، وحياء الأدب .

ـ واستجابَ موسىٰ ـ عليه السلام ـ لدعوة الشيخ ، وكان حيياً ، فطلب أنْ يمشيَ أمامها ، وترشدُه هي إلى الطريق ، ثم جاء أباها[1] وهو شيخ كبير ، فسلّم عليه ، فردّ عليه السلام

---

(١) اختلف العلماء والمفسّرون في هذا الأب الشيخ مَنْ هو ؟! فقيل : هو شعيب عليه السلام ، وهذا هو المشهور عند كثيرين ، وذكر آخرون بأنَّ اسمه شعيباً ، لكنه غير شعيب النبي . وقيل : إنَّه ابنُ أخي شعيب ، وقيل : ابن عمه . وقيل : رجلٌ مؤمنٌ من قوم شعيب . وقيل : رجل اسمه : يثرون ، ومن الجدير بالذكر أنَّ القرآن الكريم لم يُشر إلى ذلك وإنما وصفه بأنَّه شيخ كبير صالح .
وأودُّ أنْ أشيرَ هنا إلى حقيقة رائعة : هي أنَّ تقوىٰ وصلاحَ=

ورحَّبَ به ، وسأله عن خبره ، فأخبره موسىٰ قصته ، فقال : ﴿لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص : ٢٥] .

ـ وبعد أنْ أكرمه الشيخ الصالح ، قالت تلك الفتاة لأبيها في حكمةٍ وحياءٍ وذكاء : ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [القصص : ٢٦] .

ـ نعم لقد كانتْ تلك الفتاةُ في غايةِ الفراسةِ والذكاء ، إذ إنَّ سواطعَ الإلهام قد برقتْ في ذهنها ، فرأتْ منْ أمانةِ موسىٰ وعفّته وحيائه وقوته ما دعاها إلىٰ ذلك ، فصدقت فراستها[1] ، ووافقت خيراً .

= الآباء ينفعُ الأبناء ، فهذا الشيخ الصالح قد هيأ الله له كليمه ونبيّه موسىٰ ، فكان زوجاً لابنته ، وحفظه في شيخوخته ، وكفىٰ بهذا إكراماً له .

(١) قال عبدُ اللهِ بن مسعود رضي الله عنه : أفرسُ الناس ثلاثة : صاحب يوسف حين قال لامرأته : ﴿أَكْرِمِي مَثْوَاهُ﴾ ؛ وصاحبَةُ موسىٰ حين قالت : ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ ؛ وأبو بكر حين استخلف عمر بن الخطاب . (البداية والنهاية ١/ ٢٤٤) .

ـ ووافق الشيخ علىٰ ذلك ، وزوج موسىٰ ابنته[1] علىٰ أن يأجره ثماني حجج أو عشراً ، وفعل موسىٰ ذلك ، وقضىٰ أتمَّ الأجلين وأكملهما ، ووفىٰ للشيخ بذلك ، وعاشتْ تلكم الفتاةُ الحييةُ في كنف موسىٰ ، لتتابع فيما بعد مراحلَ حياته ، ولتشهد نبوته وفضل اللهِ عليه .

* * *

(١) يقول المفسرون : تزوج موسىٰ الفتاة التي جاءت تدعوه ، وذُكِرَ أنَّ اسمها صافورا .

الفصل الثاني

استحياءُ الحبيب الأعظم ﷺ

نحنُ الآن في رحابِ أميرِ الأنبياءِ وخاتمهم سيدنا وحبيبنا محمدٍ ﷺ ، نعيشُ في هذه الصفحاتِ أويقاتٍ لطيفاتٍ مع حيائهِ ﷺ ، وكيف تحدَّثَ عنه القرآنُ الكريمُ ، وكيف وصفهُ اللهُ عَزَّ وجَلَّ بأنَّه يستحي من أصحابه .

ـ كان ذلك يوم أنْ تزوجَ الحبيبُ المصطفىٰ ﷺ أمّ المؤمنين زينبَ بنت جحش ـ رضوان الله عليها ـ يومها ظهرَ استحياءُ الحبيب المصطفىٰ ﷺ من بعضِ أصحابه لأنّهم أطالوا الجلوس عنده ، وكان ذلك سبباً في نزول آيةِ الحجاب .

ـ أما قصةُ ذلك الزواج وحياء الحبيب الأعظم ﷺ ، فيرويه لنا أنس بن مالك رضي الله عنه فيما أخرجه عنه البخاري في

صحيحه ، إذ أخرج بسنده عن أنس قال : بُني علىٰ النبي ﷺ بزينبَ بنت جحشٍ بخبزٍ ولحمٍ ، فأرسلتُ علىٰ الطعام داعياً ، فيجيء قومٌ فيأكلون ويخرجون ، ثم يجيءُ قومٌ فيأكلون ويخرجون ، فدعوتُ حتىٰ ما أجدُ أحداً أدعو .

فقلتُ : يا نبيَّ اللهِ ، ما أجدُ أحداً أدعوه .

قال : « فارفعوا طعامكم » .

وبقي ثلاثةُ رهطٍ يتحدّثون في البيتِ ، فخرجَ النبي ﷺ ، فانطلق إلىٰ حجرةِ عائشة فقال : « السلام عليكم أهلَ البيت ورحمة الله » .

فقالت : وعليك السلام ورحمةُ الله ، كيفَ وجدتَ أهلكَ بارك اللهُ لك ؟ فتقرّىٰ حُجَرَ نسائهِ كلهن ، يقول لهنّ كما يقولُ لعائشة ، ويقُلن له كما قالتْ عائشة .

ـ ثُمَّ رجع النبيُّ ﷺ ، فإذا ثلاثة رهطٍ في البيتِ يتحدثون ، وكانَ النبي ﷺ شديد الحياء ، فخرجَ منطلقاً نحو حجرة

عائشة ، فما أدري آخبرته ، أو أُخبِر أنَّ القومَ خرجوا ، فرجعَ حتى إذا وضع رجلَه في أسكفة الباب داخلةً ، وأخرىٰ خارجة ، أرخىٰ الستر بيني وبينه ، وأُنزلت آيةُ الحجاب[1] .

ـ أما آيةُ الحجاب التي ورد فيها حياءُ النبي ﷺ فهي قولهُ عَزَّ وجَلَّ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا

---

(١) هذا حديث من الأحاديث المشتهرة ، المشهورة المنثورة في الصحيح والسنن ، ناهيك شهرته في التفسير ، فقد أخرجه البخاري في (١٥) موضعاً من صحيحه ، أولها في التفسير برقم (٤٧٩١) وكذلك بالأرقام الآتية (٤٧٩٢ و ٤٧٩٣ و ٤٧٩٤ و ٥١٥٤ و ٥١٦٣ و ٥١٦٦ و ٥١٦٨ و ٥١٧٠ و ٥١٧١ و ٥٤٦٦ و ٦٢٣٨ و ٦٢٣٩ و ٦٢٧١ و ٧٤٢١) ؛ وأخرجه مسلم في النكاح برقم (١٤٢٨) ، والترمذي في مواضع برقم (٣٢٧٠ و ٣٢٧١ و ٣٢٧٢) ، وانظر تفسير الطبري (٢٢/ ٣٧) ، والقرطبي (١٤/ ٢٢٤) ، وتفسير ابن كثير (٣/ ٦١٩) وغيرها .

طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ﴾

[الأحزاب : ٥٣] .

ـ لقد ظهر حياءُ النبي ﷺ عندما جلسَ أولئك النّفر الثلاثة الذين استرسلَ بهم الحديث ، ونسوا أنفسهم ، حتىٰ شقَّ ذلك علىٰ رسولِ الله ﷺ كما قال تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ﴾ [الأحزاب : ٥٣] . فكان ﷺ يكره أن ينهاهم عن ذلك من شدةِ حيائه ﷺ[1] .

ـ وذكر السعدي في تفسير قوله تعالىٰ : ﴿ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ﴾ [الأحزاب : ٥٣] يعني : أن يقول لكم : اخرجوا ، كما هو جاري العادة أنَّ الناس ـ وخصوصاً أهل الكرمِ منهم ـ

---

(١) عن تفسير ابن كثير (٣/ ٦٢١) بتصرف يسير .

يستحيون أن يُخرِجُوا من مساكنهم[1] .

ـ نعم فالرسولُ ﷺ يستحيي من إخراج أولئك النّفر الثلاثة الذين أخذوا يفيضون بالحديث ، ومنعه حياؤه أنْ يأمرهم بالانصراف أو ينفضّ مجلسهم ، وذلك لخلقه الرفيع ، وقلبه الرحيم ، وحيائه الذي كان عنوانُ وجههِ ﷺ ، مع العلم أنَّ الكلام في بيته كان يضايقه ويثقل عليه ، ويمنعه من قضاءِ كثير من مصالحه وأموره .

ـ وفي قوله عَزَّ وجَلَّ : ﴿وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الأحزاب : ٥٣] معناه أنَّ الله عَزَّ وجَلَّ لا يترك بيان الحق ، ولا يمنعه مانع من إظهار الحق ، وتبيانه لكم .

ـ وفي قوله عَزَّ وجَلَّ : ﴿وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾ [الأحزاب : ٥٦] إشارة لطيفة إلى الانتشارِ بعد الطعام ، وعدم الجلوس بعده ، لأنَّ الوليمةَ قد انتهتْ ، وأهل البيت بحاجة أن يتفرغوا إلىٰ أعمالهم ، لا أن ينتظروا فراغ الثقلاء من أحاديثهم .

---

(١) تفسير السعدي (ص٦١٧) .

ـ قال القرطبي ـ رحمه الله ـ : هذا أدبٌ أدّبَ اللهُ بهِ الثُّقلاء ، وفي كتابِ الثعلبي : حسبُك من الثُّقلاء أنَّ الشرعَ لم يحتملهم[1] .

---

(١) تفسير القرطبي (١٤/ ٢٢٤) .

ولعلّه من الممتع هنا أنْ نشيرَ إلىٰ أنَّ سماجةَ الثُّقلاءِ قد أُغرِمَ فيها الأدباء والعلماء وصنعوا منها أبواباً لكتبهم ومنهم : ابن قتيبة في عيون الأخبار إذ عقد فصلاً عنوانه : « باب الثقلاء » ؛ وصنع غيره كذلك كابن عبد ربه في العقد الفريد ، وابن عبد البر القرطبي في بهجة المجالس ، والراغب الأصفهاني في محاضرات الأدباء وغيرهم ، كما أنَّ ابن المرزبان قد صنّف كتاباً مستقلاً سمّاه « ذمّ الثقلاء » ، ذكر فيه ما يتمتّع به هؤلاء من خصائص لا تحتملها النّفوس ولا الأبدان .

ـ ومن لطائفِ المعاني في الثقلاء ما جاء عن أبي هريرةَ رضي الله عنه ، فكان إذا استثقل رجلاً قال : اللهم اغفر له ، وأرحنا منه .

ـ وقال بعض الأطباء : لا تجالس الثقلاء فإنا نجدُ في الطّب : مجالسة الثقيل حمّى الروح . =

= ـ وقال الشاعر :

إنـي أجـالـسُ معشـراً نُـوكـى أخفُّهـم ثقيـل
قـومٌ إذا جـالستهـم صدئت بقربهم العقول
لا يفهمـونـي قـولهـم ويـدقُّ عنهـم مـا أقـول

ـ ومرَّ رجلٌ بصديق له ومعه رجل ثقيل ، فقال له : كيف حالك ؟ فقال :

وقـائلٍ كيفَ أنتَ قلتُ لـه هذا جليسي فما ترىٰ حالي ؟!

ـ وقال سهل بن هارون : مَنْ ثقُل عليك بنفسه ، وغمك في سؤاله ، فألزمه أذناً صماء ، وعيناً عمياء . وقيل لجالينوس : بم صار الرجلُ الثقيلُ أثقل من الحملِ الثقيل ؟! فقال : لأنّ الرجل الثقيل إنّما ثِقلهُ علىٰ القلب دون الجوارح ، والحمل الثقيل يستعين فيه المرء بالجوارح . وكان حماد بن سلمة إذا رأىٰ من يستثقله قال : ﴿ رَّبَّنَا ٱكۡشِفۡ عَنَّا ٱلۡعَذَابَ إِنَّا مُؤۡمِنُونَ﴾ . وقال أحد الشعراء :

أنـتَ يـا هـذا ثقيـل وثقيـل وثقيـل
أنـتَ فـي المنظـر إنسـانٌ وفـي الميـزان فيـل

ـ وهذا باب طويل جميل ، أحببنا أن نجتني بعضَ أطايبه للترويح عن القلوب ، والله من وراء القصد .